﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

[القيامة: 31 - 35]

## ❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من بيانِ حالِ الموتِ فما بعده إلى حالِ ما قبلَ الموتِ

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقةُ حالَ الإنسانِ عند الاحتضارِ، وبيّنت مآله بعد الموتِ، ناسبَ الانتقال إلى بيانِ ما قدّمه في الحياةِ الدّنيا وما أهمله من الأعمالِ والتّروكِ، فذكرتِ الآياتُ حالَ الإنسانِ في الدُّنيا من تركِ الإيمانِ والصّلاةِ، وإيثار التكذيبِ والتّولّي، والتّرفيهِ مع الأهلِ، لبيان أنّها هي التي أوردتها الموارد، كما قال في مطلعِ السّورة: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ فالعلّةُ الحقيقيّةُ للكُفرِ والتّكذيبِ، هو اتّباعُ الشّهواتِ.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: (ولي) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قُربٍ. من ذلك الوَلْيُ: القربُ. يُقالُ: تباعدَ بعد ولْيٍ؛ أيْ: قربٍ. وجلسَ ممّا يليني؛ أيْ: يُقاربُني[1]. يُقالُ: ولَّيْتُ سمعي كذا، ووَلَّيْتُ عيني كذا، ووَلَّيْتُ وجهي كذا: أقبلتُ به عليه، قال الله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: 144]، وإذا عدّي بـ(عن) لفظًا أو تقديرًا اقتضى معنى الإعراضِ وتركِ قربه. كقوله تعالى قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران: 63]، و﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [الغاشية: 23]، والتَّوَلّي قد يكون بالجسم، وقد

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ولي).

يكونُ بترك الإصغاءِ والائتمارِ، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: 20][1]. والمُرادُ بـ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ هَهُنا: أعرضَ عن الطاعةِ[2].

2) ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾: (مط) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مدِّ الشيءِ، ومطَّهُ: مدَّهُ، وهو المَشي بتَبَخْتُرٍ، لأنَّه إذا فعلَ مطَّ أطرافه. ومطَّ حاجبيْه: تكبَّرَ[3]. والمَطُّ: سِعَةُ الخَطْوِ، وقَدْ مَطَّ يَمُطُّ، ومَطَّ خَطَّه وخَطْوه: مَدَّهُ ووَسَّعَهُ. ومَطَّ الطائرُ جَناحَيْهِ: مَدّهما. وتَكَلَّمَ فمَطَّ حاجِبَيْهِ؛ أيْ مَدَّهُما، والتّمطّي: التَّمدُّد[4]. والمعنى المحوري: تمدّدُ الشيءِ أو قبولُه التّمددَّ مرونةً مع تماسك أثنائه[5]، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾، قالوا: أصله يتمطَّطُ، فجعلت الطّاءُ الثّالثة ياءً للتّخفيف، وهي هيئةُ مِشيَة التبَخْترِ ومدِّ اليديْن في المَشْي[6]، وهي مِشْيَةُ المُعْجَبِ بنَفْسِهِ[7].

3) ﴿أَوْلَىٰ﴾: اسمُ تفضيلٍ مِن (ولي)، وفاعلُهُ ضميرٌ محذوفٌ عائدٌ على مُقدَّرٍ معلوم في العُرفِ، فيُقَدِّرُهُ كلُّ سامعٍ بما يدُلُّ عَلى المكروهِ، معناهُ: قارَبَكَ ما تكرَهُ؛ أيْ: قارَبَهُ ما يُهْلِكُه، فهي كَلِمَةُ تَوَعُّدٍ تَجري مَجرى المَثَلِ في لُزومِ هذا اللَّفظِ لكن تلحقُه علاماتُ الخطابِ والغَيبةِ والتَّكلُّمِ، والمُرادُ بهِ ما يُرادُ بقولهم: ويْلٌ لك، من دُعاءٍ على المجرورِ باللّامِ بعدها؛ أيْ: دُعاءٍ بأنْ يَكونَ المَكْروهُ أدْنى شَيْءٍ مِنهُ[8]. وقيلَ: هو (أفْعَلُ) من (الوَيْلِ) بعد القَلْبِ كأدنى من (دونَ)، أو (فَعْلى) من: آلَ، يَؤولُ؛ بمَعْنى: عُقْباكَ النّارُ[9].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيَّنتِ الآياتُ الكريمة مبلغَ خسرانِ المُكذِّب بيومِ القيامةِ، وسببَ كراهيتِه للقاءِ اللهِ والسوقِ إليه تعالى بعدَ أنْ شاهدَ مقعدَه من النارِ ساعةَ الاحتضارِ، فأوضحتْ أنَّ ذلك راجعٌ

(1) الرّاغب، المُفردات: (ولي).
(2) مَكّيّ، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 12/ 7893.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مط).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (مطط).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مطط - مطمط).
(6) الرّاغب، المُفردات: (مطط).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 362.
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 362.
(9) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 9/ 69.

إلى أنّ هذا الشَقيَّ لم يُصدِّق بالرسالةِ النبويَّةِ ولا بالقرآنِ، ولا صَلَّى لربِّه الصلاةَ المطلوبةَ منه فرضًا؛ بل كذَّب بالرسولِ ﷺ وبما جاءَ به، وتَوَلَّى عن الطاعةِ والإيمانِ، وزادَ على ذلك أنَّه ذهبَ إلى أهلِه جذلانَ أشرًا بَطِرًا، يتبختر ويختالُ في مشيته افتخارًا بذلكَ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ [المُطفّفين: 31]، فقد جمعَ بينَ تركِ العقيدةِ وبين إهمالِ فروعِ الدّينِ، وبين الإساءةِ في سلوكه أمام الخَلْقِ بالتَّمَطّي والتَّبَخْتُرِ والاختيالِ في مشيته. ثم هدَّدَ اللّه تعالى هذا الكافرَ وتَوعَّده بالويل، وكرَّرَ هذا الوعيدَ، بيانًا لشناعةِ مسلكِه. وهذا تهديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ من اللّه تعالى للكافرِ بأصولِ الإيمانِ وفروعِ الشريعةِ، المتبخترِ في مشيه[1]. وقد وردَ في الخبرِ أنَّ أبا جهل تَهدّد النبيَّ ﷺ بالقتل، وأنّ النبيّ ﷺ أخذ تَلابيبَ أبي جهلٍ بالبطحاء، فدَفع في صدره، فقال: (أَوْلى لَكَ فأَوْلى، ثُمَّ أَوْلى لَكَ فأَوْلى). يعني: أبا جهل حين تَهدّد النبي ﷺ بالقتل، فقال أبو جهلٍ: إليك عنّي، فإنك لا تستطيع أنتَ ولا ربّك أن تفعلا بي شيئًا، لقد علمتْ قريش أني أعزُّ أهل البطحاءِ وأكْرمُها، فبأيِّ ذلك تُخوِّفني؟! ثم انسلّ ذاهبًا إلى منزلِه، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾[2]. فأنزل اللّه تعالى هذه الآية، كما قال له الرسول ﷺ.

تـــرك أصـــولِ الإيـمـانِ وفـروعِ الشَّريعةِ أودى بـالمُـكـذِّبِ إلى كراهيةِ الآخرةِ

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### نوعُ الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾:

جاءتِ الفاءُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ تفريعيَّةً على ما تقدَّمَ، ويحتمل التَّفريع أن يكون على قولِه تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾؛ أي: الإنسان، فلِجَهْلِهِ البَعْثَ لَمْ يَسْتَعِدَّ لَهُ[3]، فهو يسألُ

التّفريعُ إمّا على مطلعِ السّورةِ وإمّا على المقطعِ الأخيرِ

(1) الزُّحيليّ، التّفسير المنير: 29/ 274 - 275.
(2) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان: 4/ 513.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 664، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 360.

عن يومِ القيامةِ، وقد استعدَّ له بما يوجبُ دمارَه وهلاكَه[1]. ويحتملُ أن يكونَ التفريع على قوله السابق: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾، فجاء التفريع خبرًا منفيًّا في الآخرةِ عن حال الإنسان في الدنيا؛ أيْ: فقد فارقَ الحياةَ وسيق إلى لقاء الله خاليًا من العُدَّةِ لذلك اللقاءِ.

### دلالةُ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿صَدَّقَ﴾:

التّصديقُ أصلُ القبولِ ومبدأُ الإيمانِ

عبَّرَ القرآن المجيد في قولِ الله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ بالفعلِ ﴿صَدَّقَ﴾، وهو مُشتقٌّ من التَّصديقِ؛ أيْ: تصديق الرسول ﷺ والقرآن الكريم، وهو المناسبُ لقولِه: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، والمعنى: فلا آمنَ بما جاءَ به الرسول ﷺ، وعليه فالتَّصديق أصل قبول الإيمان، فمَنْ لم يُصدِّق ابتداءً فلن يؤمن انتهاءً.

### غرضُ حذفِ مُتَعَلَّقِ فعلِ ﴿صَدَّقَ﴾:

الإيماءُ إلى كلِّ ما يجبُ التَّصديقُ به

حُذِف مُتعلقُ فعلِ ﴿صَدَّقَ﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾؛ أيْ: لم يُصدِّق ما يجب عليه الإذعانُ به[2]، وذلك لإفادَةِ العمومِ والشُّمولِ في نفي التَّصديقِ[3]، ذلك أنَّ أقربَ ما يكونُ مُتعلَّقًا لهذا الفعلِ هو تركُ التّصديقِ بوقوعِ يومِ القيامةِ، ولكنَّهُ لا يقتصرُ عليه، إذ التصديقُ باليومِ الآخرِ فرعٌ عن التصديقِ بكلِّ ما جاءَ به النبي ﷺ، وعن التصديقِ بكل ما جاءَ في القرآن الذي نُهيَ النبيُّ ﷺ عن تحريك لسانه عجلةً بحفظهِ وتثبيته.

### نوعُ العطفِ ودلالتُهُ:

عطفُ الفرعِ الأصيلِ على الأصلِ العظيمِ من عطفِ الخاصِّ على العامِّ

في قولِ الله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ عطفَ القرآن المجيد تركَ الصلاةِ على تركِ التصديق، وهو عمدةُ الاعتقادِ، فكانَ في عطفِ تركِ الصلاةِ إشارةٌ إلى تركَ عمدة الفروعِ الشرعية وهي

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 175.
(2) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاويّ: 19/ 462.
(3) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 111.

أداء الصلاة المفروضةِ، فجمع بينَ ترك العقيدة، وبيْنَ إهمال فروعِ الدين[1]، ولمّا كانت الصلاة جزءًا ممّا يجب أن يُصدّق بها، كان العطف من عطف الخاصِّ على العامِّ.

### نُكتةُ إعادةِ ذِكْر (لا) النّافيةِ:

الكافرُ مُستحِقٌّ للذَّمِ بتركِ الصّلاةِ كما يستحقّه بتركِ الإيمانِ

أعادَ القرآن المجيد ذكرَ حرفِ النَّفي (لا) في قولِ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ لتوكيدِ تركِ الكفارِ للتصديقِ والصلاةِ، وفيه مزيدٌ من التقريعِ والتوبيخِ، كما دلَّ تكرارُ حرفِ النفي على أنَّ الكافرَ يستحقُّ الذَّمَّ بتركِ الصلاةِ كما يستحقه بترك الإيمانِ[2]. وتكرار النفي مع ذِكْرِ فعلٍ آخرَ بعده أسلوبٌ عربيٌّ راسخٌ، فإنَّ العربَ لا تقولُ مثل هذا كلمةً وحدَها حتى تُتبِعها بأخرى، إمّا مُصرَّحًا أو مُقدَّرًا، فلا يقولون: لا عبد الله خارج؛ حتى يقولوا: ولا فلان، ولا يقولون: مررتُ برجلٍ لا يحسن؛ حتى يقولوا: ولا يجمل[3].

### بلاغةُ عطفِ جملةِ الضِّدِّ على مقابِلِها:

جمعُ الكافرِ بين التكذيبِ والإعراضِ إلى جانبِ تركِ التصديقِ والصلاةِ

أفادَ مفهومُ المخالفةِ في قولِه الله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ أنَّ الكافرَ قدْ كذَّبَ ولم يمتثلْ لمُقتضى التبليغِ، ورغم ذلك فقد عطفَ النَّظمُ قولَه: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عليه، وذلك لإفادَةِ مَعْنَيَيْنِ؛ أحدُهُما توكيدُ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ بقَوْلِهِ: ﴿كَذَّبَ﴾، وثانيهُما زيادَةُ بَيانِ مَعْنى: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾؛ بأنَّهُ تَوَلّى عمدًا لأنَّ عَدَمَ التَّصديقِ له أحوالٌ[4]، فالجملةُ الأولى نفيٌ لفعلِ الخير، والثّانيةُ إثباتٌ لفعلِ الشَّرِّ[5].

### معنى (لَكِنْ) ودلالتُها:

استعملَ البيانُ القرآنيُّ في قولِ الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾

(1) الزُّحيليّ، التّفسير المنير: 29/ 274.
(2) شيخ زاده، حاشيةٌ على تفسير البيضاويّ: 8/ 425.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 733.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 362.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 165، والبقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 111.

حرفَ (لكنْ)، وهو حَرْفُ اسْتِدْراكٍ؛ أيْ: نَقض لبعضِ ما تضمَّنَتْهُ الجملةُ التي قبلهُ، إمّا لِمُجَرَّدِ تَوكيدِ المعنى بذِكْرِ نَقيضِهِ مثل قَولِه تَعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 5]، وإمّا لبيانِ إجمالٍ في النَّفي الذي قبلهُ نَحْوَ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: 40]، وحرفُ (لكنْ) المُخَفَّفُ لا يَعْمَلُ إعرابًا فهو حرفُ ابتداءٍ، ولذلكَ أكثرُ وُقوعِهِ بعدَ واوِ العطفِ[1].

الاستدراكُ لتوكيدِ تركِ التَّصديقِ والصَّلاةِ، ولبيانِ تعمُّدِ الكافرِ

### غرضُ حذفِ مُتَعَلَّقِ فعلِ ﴿كَذَّبَ﴾:

في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ حذفَ النَّظمُ الكريمُ متَعَلَّقَ فعلِ التكذيبِ، والمعنى أنَّهُ كذَّبَ بما أتاهُ من اللّه[2]، وذلك لإفادَةِ العمومِ والشمولِ في تكذيبه، ذلك أنَّ أقربَ ما يكونُ متعلَّقًا لهذا الفعلِ هو التكذيبُ بوقوعِ يومِ القيامةِ، ولكنَّهُ لا يقتصرُ عليه، إذا التكذيبُ باليومِ الآخرِ فرعٌ عن التكذيبِ بكلِّ ما جاءَ به النبي ﷺ، وعن التكذيبِ بكلِ ما جاءَ في القرآن. فالحذفُ هَهنا لأنَّهُ أبلغُ في إفادةِ العمومِ والشمولِ.

تكذيبُ الكافرِ لا يقتصرُ على يومِ القيامةِ؛ بل يعمُّ الوحيَ كلّه

### نُكتةُ عطفِ التَّوَلّي على التَّكذيبِ:

عطفَ البيانُ القرآنيُّ التَّوَلّي على التّكذيبِ في قوله: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ لبيانِ شِدَّةِ الإعراضِ، إذ هو لم يكتفِ بالتكذيبِ، وإنَّما تَوَلَّى عن الإيمانِ بما جاءَ من عندِ اللّه، وأعرضَ عن الطاعةِ، وعن اتّباعِ الرسولِ ﷺ، وفي ذلك ما يؤكِّدُ استحقاقَ هذا الكافرِ للعقابِ الأليم. وكذلك فإنَّ التكذيبَ فعلٌ قَلْبيٌّ، والتولّي فعلٌ بدنيٌّ، فجمع بينَ القلبيِّ والبدنيِّ في كفرِه، فقد كان في الدّارِ الدنيا مُكذِّبًا للحقِ بقلبِه، مُتوليًّا عن العملِ بقالبِه، فلا خيرَ فيه باطنًا ولا ظاهرًا[3].

الجمعُ بين الكُفرِ القلبيِّ والبدنيِّ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 362.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 111.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 282.

### بَلاغةُ فنِّ الطِّباقِ:

جاءَ الطباقُ بين ﴿صَدَّقَ﴾ و﴿كَذَّبَ﴾، وبين ﴿صَلَّىٰ﴾ و﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ مبرزًا لشدَّةِ جُرمِ المُكذِّب بيومِ القيامةِ[1]، لافتًا أنظارَ المتلقينَ لما يعتمل في نفسه من العتوِّ والجحودِ بالآياتِ.

### دلالةُ استعمالِ حرفِ ﴿ثُمَّ﴾:

قد أبعدَ المُكذِّبُ في العصيانِ باختيالِهِ وتبخترِهِ

أفاد حرف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ استبعاد الإيمان؛ لأنَّ الحاملَ على التَّكذيبِ الترفُ، وسبب ذلكَ الانقيادُ أوَّلًا مع الطبعِ في إفسادِ القُوتيْنِ: العَمَليَّةِ والعِلميَّةِ حتى نشأ عنهما هذا الخلقُ السَّيئُ، وهو عدمُ المبالاةِ، ولم يزل به ذلك حتى صار ملكةً يفتخرُ به[2]. وكذلك فقد أفادَ التعبيرُ بحرف ﴿ثُمَّ﴾ استبعادَ المكذب للبعثِ وإصراره على التكذيب به وعدم الخوف من الله[3].

### غرضُ التعبيرِ بفعلِ الذّهابِ:

جاء التعبير بفعلِ ﴿ذَهَبَ﴾ للدلالةِ على ثباتِ هذا التبخترِ والاختيالِ وتحقُّقه في نفس المُكذِّب العنيدةِ، وعلى عدم اكتراثه بما صنع، فقد كفر بلسانٍ باردٍ، وقلبٍ جامدٍ.

### نُكتةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ:

اختيالُ المُكذِّبِ أمامَ أهلِهِ لأنَّهم في الغالبِ على شاكلتِهِ في التَّكذيبِ

قدَّم النَّظمُ شِبهَ الجملةِ ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ في قولِه: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ لبيانِ شدَّةِ اهتمامِ المُكذِّبِ بالاختيالِ والافتخارِ أمام أهله في المقامِ الأوَّلِ، إذ أهلُ الإنسانِ في الغالبِ الأعمِّ على شاكلته في التصديقِ والتكذيبِ، وهم ألصقُ النّاسِ به، وهو يقصدُ إلى الاختيالِ أمامهم قبل غيرهم. وقد يكونُ المُرادُ بأهله هَهُنا من هم على شاكلته في التكذيبِ والعصيانِ، فيكونُ من بابِ قوله تعالى:

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 470.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 112.
(3) الشِّهاب، عناية القاضي: 9/ 347.

﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢﴾ [الصافات: 22]، فالمرادُ بـ(أَزْواجَهُمْ) أتباعهم، ومن أشبههم من الظلمة[1].

### بلاغةُ مناسبةِ مُفردةِ ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ للسّياق:

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ فعلِ ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾، وهي مِشْيَةُ المُعْجَبِ بنَفْسِه. والمَعْنى: أنَّهُ أهْمَلَ الاسْتِعْدادَ لِلْآخِرَةِ ولَمْ يَعْبَأْ بدَعْوَةِ الرَّسولِ ﷺ وذَهَبَ إلى أهْلِهِ مُزْدَهيًا بنَفْسِهِ غَيْرَ مُفَكِّرٍ في مَصيرِه[2]، واستعمال هذه المُفردة الغريبة لتناسب ذِكْرَ الفاقرة في قوله تعالى: ﴿تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾، والفاقرةُ هي الداهيةُ التي تقصمُ فقارَ الظَّهرِ. فهذا الذي يتبخترُ في مشيتِه ويلوي ظهرَه، سيُقْصَمُ فقارُ ظهرِه، فلا يستطيعُ حراكًا، وهو جزاءٌ من جنس العمل، أفلم يكن يلوي ظهره ويتبختر، فسيُحَطَّمُ هذا الظهرُ الذي طالما لَواه وتبخترَ به وهذا أنسبُ عقابٍ له، وهي متناسبةٌ مع قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾؛ فهو كان يذهبُ إلى أهلِه وينقلبُ إليهم متى شاءَ، أمّا الآن فإنَّه يُساق سوقًا إلى ربِّه وسيِّدِه على الرّغم من أنْفِه، فليس له اختيار وإنما هو مَذهوبٌ به إلى جهةٍ واحدةٍ. أمّا في الدنيا فهو ينقلب إلى أهله وإلى عمله وإلى أصدقائه وإلى مَن شاء، فتقابل التّعبيرانِ والمشهدانِ[3].

**كـان الافـتـخـارُ والاختيالُ سببًا في قـصـمِ ظـهـرِ المُـكـذِّبِ جـزاءً وفاقًا**

### نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ:

جاء التَّعبيرُ بصيغةِ المضارع ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ للدّلالةِ على تكرُّرِ الفعلِ منه مرارًا، بما يشيرُ إلى شِدَّةِ رغبتِه في الاختيالِ والافتخارِ إظهارًا لتكذيبه وعصيانِه، مع تصوير حاله.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 19/ 520.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 362.
(3) السّامرّائيّ، لمساتٌ بيانيّةٌ، ص: 225 - 226.

### عِلّةُ فصلِ قولِه: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾:

وعيدُ المُكذِّبِ المُختالِ بالهلاكِ واستحقاقِ النّارِ

فصل النَّظمُ البليغُ قولَ الله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾ عن قولِه: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾، وذلك لما بينهما من كمالِ الانقطاعِ بلا إيهام، فقد جاءتْ جملةُ: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ خبريَّةً لفظًا ومعنًى، في حين جاءت جملةُ ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾ خبريَّةً لفظًا إنشائيَّةً معنًى[1]، وذلك لوقوعها دعاءً وتهديدًا للمُكذِّبِ المُختالِ بالهلاك واستحقاقه للخلودِ في النّارِ.

### دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿أَوۡلَىٰ﴾:

التَّعبيرُ بـ﴿أَوۡلَىٰ﴾ مُناسبٌ لموضوعِ العَجَلَةِ في السّورة؛ فهو تهديدٌ بقُربِ العذابِ

قولُه تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾: تَهَدُّدٌ ووعيدٌ[2]، معناهُ: قارَبَكَ ما تكرَهُ؛ أيْ: قارَبَهُ ما يُهْلِكُه، فهي كَلِمَةُ تَوَعُّدٍ تَجري مَجرى المَثَلِ في لُزومِ هذا اللَّفظِ؛ لكن تَلْحَقُهُ عَلاماتُ الخِطابِ والغَيبَةِ والتَّكلُّم، والمُرادُ بِه ما يُرادُ بقَوْلِهِمْ: ويْلٌ لَكَ من دُعاءٍ على المَجْرورِ باللّامِ بَعْدَها؛ أيْ: دُعاءٍ بأنْ يَكونَ المَكْروهُ أدْنى شَيْءٍ منهُ[3]. وقيلَ: هو (أفْعَلُ) من (الوَيْلِ) بَعد القَلْبِ كَأدْنى من (دونَ)، أوْ (فَعْلى) من: آلَ، يَؤولُ؛ بمعنى: عُقْباكَ النّارُ[4].

واختيارُ هذا الدُّعاء أنسبُ شيءٍ ههنا، فهو دعاءٌ عليهم وتهديدٌ لهم بالويلِ القريبِ والشرِّ الوشيكِ العاجل، فهو مناسبٌ لإيثارهم العاجلةَ وتقديمهم الفجورَ والشَّهواتِ وتأخيرهم الطاعاتِ، فكما عجّلوا في فجورهم وشهواتهم ومعاصيهم؛ عجل لهم الويل والثُّبور، وهو مناسبٌ لجوِّ العَجَلةِ في السورة[5].

(1) فيود، علم المعاني، ص: 455.
(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (ولي).
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 362.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 69.
(5) السّامرّائيّ، لمساتٌ بيانيّةٌ، ص: 228.

### معنَى اللَّامِ في ﴿لَكَ﴾:

اللّامُ في قوله: ﴿لَكَ﴾ إمّا للاختصاص؛ أي: الويلُ والعذابُ والهلاكُ مُختصٌّ بكَ أيها العاتي المُتبخترُ المُكذِّبُ، وخصَّ كثيرٌ من المُفسِّرين المُخاطَبَ هنا بأبي جهلٍ - كما ذكرنا سلفًا - مع نصِّهم على أنَّ هذا لا يمنعُ من عموم اللَّفظِ في كلِّ من كذَّبَ وتولى وأعرضَ عن الإيمان والشرائع. وإمّا أن تكون اللّامُ للتَّبيينِ[1].

اللّامُ إمّا للاختصاصِ، أو للتَّبيينِ

### بَلاغةُ الالتفاتِ من الغيبةِ إلى الخِطابِ:

انتقلَ القرآن المجيد من الغيبةِ في قولِه: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ إلى الخطاب في قولِ اللّه تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾، لأنَّ الخطابَ في الدعاءِ والتهديد والوعيدِ أبلغُ وآكدُ، فإنَّ استحضارَ المُكذِّبَ وتوجيه الخطابِ إليه أشدُّ في التَّوبيخِ والتَّقريعِ. وفيه كذلك نوعٌ من المُشاكَلَةِ بين نَظْمِ الآيةِ، وسبب نزولها الواردِ في خطابِ النَّبيّ ﷺ لأبي جهلٍ.

توبيخُ المُكذِّبِ كفاحًا أبلغُ في إيلامِ نفسِهِ

### نوعُ الفاءِ ودلالتُها:

جاءتِ الفاءُ في قولِه: ﴿فَأَوۡلَىٰ﴾ عاطفةً لزيادةِ التوكيدِ[2] بالتهديدِ والوعيدِ للمنكرِ المكذبِ بالإيمانِ والرسولِ وبيومِ القيامةِ. والمعنى بعد ذلك: فبُعدًا لك في أمرِ دنياك، وبُعدًا لك في أمرِ أُخراك، وقيلَ: المعنى: الويلُ لك مرّةً بعد ذلك[3].

زيادةُ التَّوكيدِ بالوعيدِ

### نُكتةُ إعادةِ لفظِ: ﴿أَوۡلَىٰ﴾:

كرَّرَ القرآن المجيد كلمةَ ﴿أَوۡلَىٰ﴾ في قولِه: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾ لزيادةِ الوعيدِ والتّهديدِ، وحذفَ شبه الجملةِ لدلالةِ شبه الجملةِ السّابقةِ عليها[4].

---

(1) شيخ زاده، حاشيةٌ على تفسير البيضاويّ: 8/ 426.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 113.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 736.
(4) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 113.

## معنَى ﴿ثُمَّ﴾ ودلالتُها:

أفادَ العطفُ قوّةَ التهديدِ والوعيدِ والمبالغةِ في وقعهِ وتعدُّدِ مراحلهِ

في قولِ اللّه تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ فرق بين الآيتيْن بـ﴿ثُمَّ﴾، وذلك لجملة أسبابٍ؛ منها أن (ثُمَّ) قد تفيد عمومَ البُعدِ والتَّباينِ، وليس المقصود بها التراخيَ في الزمنِ فقط، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ [البلد: 11 - 17]. فقد دخلت ﴿ثُمَّ﴾ [البلد: 17] لبيان تفاوتِ رتبةِ الفَكِّ والإطعامِ من رتبة الإيمان[1]. فما بعد (ثُمَّ) أبعدُ في الرتبةِ مما قبلها، وكذلك ههنا فإنَّ التهديدَ الثّاني أقوَى من الأول. ومنها: أنه جاء بـ (ثُمَّ) لتوكيدِ الكلامِ، إذ إنَّ جملةَ التوكيدِ قد يُفصلُ بينها وبين المؤكَّدةِ بحرف العطفِ، تقولُ: (واللّه، ثُمَّ واللّه). فجيء بحرف (ثُمَّ) لعطف الجملةِ، دلالةً على أن هذا التأكيدَ ارتقاءٌ في الوعيد، وتهديدٌ بأشد مما أفاده التهديدُ، وتأكيدُه كقوله تعالى ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: 3 - 4][2].

وربما جاء بـ (ثُمَّ) للتراخي الزمني أيضًا، إذ هناكَ عذابٌ في القبرِ وعذابٌ في الآخرةِ، وبينهما مدَّةٌ مديدةٌ، كما قال تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: 46]، فهمُ يعرضونَ على النّارِ غُدوًّا وعَشيًّا في القبرِ، ويومَ تقومُ الساعةُ لهم عذابٌ أشدُّ. وعلى هذا يكونُ التهديدُ الأوَّلُ في القبرِ والثّاني في الآخرةِ، وجاء بينهما بـ (ثُمَّ) الدّالةِ على المُهلةِ والتَّراخي. والدّالةِ على بُعْدِ ما بين التهديديْن والعذابيْن في الشدة[3].

(1) الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن: 4/ 266.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 364.
(3) السّامرّائيّ، لمساتٌ بيانيّةٌ، ص: 231 - 233.

### لطيفةُ تكرارِ (أَوْلَى) أربعَ مرّاتٍ:

تكرارُ الويلِ أربعَ مـرّاتٍ لمناسبةِ الأمـورِ الأربعـةِ المذكورةِ

أعادَ القرآن المجيد جملةَ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ للتأكيدِ وللمبالغةِ في التهديدِ والوعيدِ[1]، فهو تهديدٌ بعد تهديدٍ، ووعيدٌ بعد وعيدٍ؛ أيْ: فهوَ وعيدُ أربعةٍ لأربعةٍ، ففي قوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، أربعةُ أمورٍ، ناسبت تكرارَ الوعيدِ أربعَ مرّاتٍ، فتركُ التَّصديقِ خصلةٌ، والتَّكذيبُ خصلةٌ، وتركُ الصَّلاةِ خصلةٌ، والتَّولّي عن الله تعالى خصلةٌ، فجاءَ الوعيدُ أربعةً مقابلةً لتركِ الخصالِ الأربعةِ، وقيل: والمعنى: الويلُ لك حيًّا، والويلُ لك ميِّتًا، والويلُ لك يومَ البعثِ، والويلُ لك يومَ تدخلُ النّارَ[2].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### التَّوَلّي والإدبارُ والإعراضُ:

الإعـراضُ أسـوأُ مـن الـتَّـولّي، والإدبـارُ أكـثرُ ما يُـستـعـمـلُ في الهَرَبِ والفِرارِ

التَوَلَّى عن الشيءِ بمعنى الانصرافِ عنه[3]، والتَّوَلّي قد يكون بالجسم، وقد يكونُ بترك الإصغاءِ والائتمارِ، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠﴾ [الأنفال: 20][4]، والتولي: الإعراضُ مُطلقًا ولا يلْزمه الإدبار، والإعراض: الانْصِراف عَن الشَّيْء بالقَلْبِ قالَ بَعضهم: المُعرِضُ والمُتَوَلّي يَشْتَرِكانِ في ترك السلوك، إلّا أن المُعرِضَ أسْوَأ حالًا؛ لِأن المُتَوَلي متى نَدم سهل عَلَيْهِ الرُّجوع، والمُعرِضُ يحْتاج إلى طلب جَديد، وغايَة الذَّم الجمع بَينهما[5]. وأمّا الإدبارُ فهو أنْ يوَلّي الشّيءَ دُبُرَه؛ أيْ: جَعَل دُبره وظَهْرَه إلى ما ينبغي أن يواجهه؛ ومنه قوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ [الأنفال: 16]، فالمُرادُ: يفرُّ فيكونُ ظهرُه للعدو. وارتَدّ على دُبُره: رَجَعَ مُتّجهًا إلى عَكْسِ ما كان عليه، وأكثرُ ما يُستعملُ في الهرب والفرار.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 164.
(2) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 115.
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ولي).
(4) الرّاغب، المُفردات: (ولي).
(5) الكفويّ، الكلّيات، ص: 28.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"